علم الكلام والحاجة إلى تجديده

م.م. إيناس ناجي حمد(*)
سيف عبد الكاظم ناصر(**)

كلمـــات المفتاحية: (علم الـكلام – الكلام الجديد – تاريخ نشـأته- اوجـه التجدد – حاجة التجديد)

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم علم الكلام والحاجة التي دعت الى تجديده، أعتمد الباحثان في دراسة هـذا البحث على الدراسـة النظرية التي تهدف للتعرف على مفهوم علم الكلام الجديد وكيف إن التجديد في هذا العلم يجعله يسـتجيب لمتطلبات الحيـاة المتغيـرة ويجيب عن الاشـكاليات التي اجتاحـت العالم المعاصر باعتبار إن موضوعه هي الأصول الاعتقادية، فيتناول هذه الاصول من أجل الاعتماد على صحتها والدفاع عنها من خـلال الأدلة والبراهين العقلية والنقلية، فضلا عن التطرق الى نشأة علم الكلام الجديد، وبيان أوجه التجدد في علم الكلام، فضلا عن الكشـف عـن الحاجة التـي دعت الى تجديد هـذا العلم، وتوصلت الدراسة الى أهم النتائج منها :

بيان مفهوم علم الـكلام عند العلماء إضافة الـى بيـان مفهـوم التجديـد عنـد علمـاء اللغة والاصطلاح.

تطرقنـا الى بيان تاريخ نشـأة علـم الكلام الجديـد من خـلال بيـان أول من اسـتخدم هذا المصطلح (الكلام الجديد) من قبل العالم الهندي شـبلي النعمانـي، ومن ثـم التطـرق الى وحيد الديـن خان والـذي يُعْد من ابرز مـن كَتَبَ في هـذا العلم، فضلا عـن بيان أول من تطرق في ايـران الى ماهية علم الكلام الجديد هو الشـهيد مرتضى مطهري، إضافة الى بيان ظهور جيل مـن العلماء في تلك الفتـرة لمواجهة هذا الواقع الفكـري المرفوض في الوسـط الديني، وكان من أبرز هؤلاء السـيد (جمـال الدين الافغاني، محمـد عبـده، والشـيخ محمـد رشـيد رضـا، العلامة الطباطبائي وتلميذه مرتضى مطهري، والدكتور علي شـريعتي، وسيد قطب، والسيد محمد باقر الصدر، ومالك بن نبي وغيرهم).

(*) كلية الإمام الكاظم «ع» / قسم علوم القرآن والحديث
(**) مديرية تربية واسط

بينــا العديــد من الأســباب التــي دعت الى تجديد هذا العلم، ومن أهمها ظهور الشبهات في مطلع العصر الحديث، وبســبب انتشار ظاهرة الألحاد وشــبهات الملحدين، لذا تحتم التجدد في علم الكلام وبسبب ما فرضه الواقع الراهن بكل إشكالاته وشــبهاته وزيغه، تجديد بنية العلم من حيث اللغة وطريقة الحوار والمســائل، إضافة الى تعرض هذا العلم لكثير من أوجه النقد ولشدة الحوارات التي دارت بين المفكرين والمصلحين مع غيرهم ممن يخالفونهــم بالمذهب والمعتقد، فضــلا عــن إن الفكــر الدينــي يشــهده الجمود والانغلاق ونتيجة لتأخرهم وتقدم الغرب عليهم ونتيجة لمحاولة تشــويه الدين وهدمه وتحريف نصوصــه ومعانيه، إضافة لتواطئ قوى الكفر على اختــلاف عقائدهــا وأهوائهــا ومصالحها على حرب الاســلام والقضاء على أهله وإلغاء أحكامــه وتعاليمه، ونتيجة لكثرة الطعن بالعقائد الاســلامية والتشــكيك بوجود الله تعالى وبنبوة محمــد (صلــى الله عليه والــه)، دعت الحاجة الى تجديد هذا العلم وتجديد الفكر الديني.

المقدمة

إنّ البحــث فــي مجــال العلــوم الإنســانيّة والطبيعيّــة مســتمر، ولم يتوقّف عند مســتوى معيــن أو مجال محــدَّد؛ إذ يتجدد طرح القضايا والموضوعــات والإشــكاليَّات بشــكل مســتمر بحســب طبيعــة تلك العلــوم وميــدان تطورها والاكتشافات التي تحقّقها، لأنَّ طرح المشكلات لا يقتصــر على مدّة زمنيّة محدَّدة أو مشــكلات بعينهــا يتــمُّ الإجابــة عنها أو إيجــاد حلول لها؛ وإنَّما تكون في تطــور دائم، فضلاً عن ذلك إنّ المفاهيــم والدّلالات والمصطلحــات في تطوّر وتحديث مســتمر، والمشكلات التي تثيرها تلك العلوم أو التصوّرات لابــدَّ أن يتمَّ الإجابة عنها من المختصِّين في تلك الميادين، فلو فرضنا أنَّ إثبــات وجود الله تعالى تمَّ إنكاره من قبل علماء الفيزياء، أو التَّشــكيك بالنبــوة أو القرآن الكريم تمّ إنــكاره أيضًا مِــن قِبل علمــاء آخرين؛ فمن الضــروري جداً أن تُحْدّث العلوم الدينية طريقةَ تفكيرها وأن تخوض في ميدان المشكلات التي تــمّ طرحها حديثــاً، وأصبح الحاجــة ضروريّة لإيجــاد طــرق تفكيــر ملائمــة لتلــك الأفــكار الملائمة للعصر والتي تنســجم مــع تطوّر تلك العلوم، وهذا يتجسَّــد في علم الكلام الجديد الذي يتصدَّى لتلك المشكلات ويسعى لإيجاد الحلول المناسبة لها.

وهنا لابدَّ أن نشير إلى مجال التّخصُّص في دراســة العلوم وإجراء الأبحاث، إذ إنَّ لكل علم أو منهج بحثّي أدواتُه العلميّة التي تكون صالحة لقياس مشــكلة البحث وملائمة لمجتمع البحث، فإذا لم تكن الأداة صالحة للقياس تنتفي الدراسة بمجملها، ويجــب أن يتصدَّى علم الكلام الجديد لتلك المشــكلات وضرورة الإجابة عليها، فإنَّ مسألة اثبات وجود الله تعالى أو خلق السماوات والأرض لا يمكن دراســتها في العلوم الطبيعيَّة أو التطبيقيــة البحتة؛ لأنَّ أداة تلك العلوم تدرس وتقيس المحسوســات والموجودات وهذا يتنافى مــع عظمة وجــود الله تعالى، بينما يتمُّ دراســة تلك الموضوعات عبر الأدلــة العقليَّة، والعلوم الدِّينيّة، والعقائد، والعلوم الفلسفيّة التي يهتمّ بها علم الكلام الجديد، ويُعدّ علم العقيدة الاســلامية مــن العلــوم الإســلاميّة المهمّة في حيــاة الفرد والمجتمــع، لأنّهــا تمثّــل الإطار العــام للتفكير الإســلاميّ، كما أنّها القاعدة الأساس التي تقوم عليهــا الشــريعة الإســلاميّة؛ لــذا فتجديــد علم الكلام هــو الذي يضع حداً لحالات الركود التي

سـيطرت على الدراسـات الكلاميّة في القرون الأخيرة، ويعيد بعث النّتاج الكلاميّ من جديد.

ويقوم علم الكلام الجديد بمهمتين أساسيتين: أحدهما: بيان العقائد الإسـلامية، والبرهنة على صدقها بالاعتماد على الأدلة والبراهين العقلية، فضلاً عن الرد على الشـبهات والشـكوك التي يوجههـا لهم خصومهم علـى اختلاف مذاهبهم وأديانهـم، وأمـا المهمّـة الأخرى فهـي مكمّلة للأولـى، بحيـث تعتمـد علـى مناقشـة عقائـد الديانـات الأخـرى، وتقديم الحجـج والبراهين على بطلانها وزيفها.

وقد تضمنت الدّراسـة مبحثين، واشتملَ كلُّ مبحـثٍ على مطلبيـنِ: تضمَّـن المبحث الأول مفهـوم علم الـكلام الجديد وتاريخ نشـأته، أمّا المبحث الثّاني فاشـتمل على بيان أوجه التجدّد في علم الكلام والحاجة التي دعت إلى تجديده.

المبحـث الاول : (مفهـوم علم الكلام الجديد وتاريخ نشأته)

المطلب الاول : مفهوم علم الكلام الجديد

يُعـدّ الجانـب العقـديّ من جوانـب التعاليم الإسـلاميّة المهمّـة وهـو عبـارة عن مسـائل وأحـكام وعقائد لابُدَّ مـن معرفتهـا واعتقادها والإيمـان بها، والعلم الذي يهتمّ بهذا الجانب هو مـا يسـمّى ب (علم الكلام)، وعُـرِف هذا العلم بعدّة تسميات منها ما يسمّى بعلم التوحيد، وعلم الفقه الأكبر، بالإضافة إلى تسميته بعلم الإيمان، وعلم الأسـماء والصفات، وعلـم أصول الدين والذي يُعـدّ من أهم العلوم الإسـلامية وأكثرها بروزاً، حيث إنّ موضوعه الأصول الاعتقاديّة، فيتناول هذه الأصول من أجل العمل على إثبات صحّتهـا والدِّفاع عنها من خـلال إظهار الأدلة والبراهيـن العقليّة والنقليّـة القاطعة. كما يُعنَى علـم الكلام بمعرفة الله عز وجـل والإيمان به، ومعرفة ما يجـوز عمله وما لا يجوز في الدِّين الإسلاميّ، وبقية الأركان الإسلامية.

اولاً : مفهوم علم الكلام

ولهذا العلم عدّة تعريفات اختلفوا في وضعه علماء الكلام ومن هذه التعريفات:

عرَّفـه ابـن ميثـم البحرانـي: « هـو العلم المتكفِّل ببيان أصول الدين»[١].

٢- وعرَّفـه عضـد الدين الايجـي قال: هو علـم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة[٢].

٣- وعرَّفـه أيضًا ابن خلـدون في مقدمته : هو علـم يتضمَّن الحجاج عـن العقائد الإيمانيَّة بالأدلة العقليَّة والـردّ على المبتدعة المنحرفين فـي الاعتقـادات عـن مذاهـب السَّـلف وأهل السُّنّة[٣].

٤- وقد أورد الشَّهيد الثاني تعريفاً له فقال:" إنّـه علم إسـلاميّ وضعـه المتكلّمـون لمعرفة الصانـع وصفاتـه العليا، وزعمـوا أنّ الطريق منحصر فيه وهو أقرب الطرق[٤]

٥- عن الملا صدرا في شرحه على أصول على الكافي قال: "علم الكلام هو البحث عن ذات الله وصفاتـه وأفعاله وعن أحـوال المعاد بأدلة ممزوجـة من العقل والشـرع، بمقدّمات مقبولة عند الجمهور، أو مسلمة عند الخصم"[٥].

ثانياً : مفهوم الجديد في اللّغة والاصطلاح

التجديد في اللُّغة: تَجَدُّد الشَّيء: صار جديدًا، وجـدّده: صيَّره جديداً، وكذلك أجدَّه واسْـتَجَدَّه،

والجديد هـو نقيض الخلق، والجِّدة- بالكسـر، هي مصدر الجديـد وهي نقيض البلى، ويقال:(بلى البيت فلان ثم أجدَّ بيتاً من شعر) ويقال لمن لبس ثوباً جديداً: (أبلِ وأجِد، واحمد الكاسي[٦]

وقد ورد في الحديث الشـريف: إن الإيمان ليخلـق فـي جـوف أحدكم كمـا يخلـق الثوب، فأسالوا الله تعالى أن يجدّد الإيمان في قلوبكم[٧]

التجديـد فـي الشّـرع: عرّفـه العلقمي: هو إحيـاء مـا درس من العمل من الكتاب والسـنة والامـر بمقتضاهما واعلم أنَّ المجـدد إنّما هو بغلبة الظن بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه[٨]

ويقـول المـودودي: المجـدّد: هـو كلّ من أحيا معالم الدين بعد طموسـها، وجدّد حبله بعد انتقاضه[٩]

وعرّفه مصطفـى الزرقـا [١٠]: إنّ التجديد ينحصـر فـي أمريـن: الأمـر الأوّل: إحياء ما درس من معالم الدين وترميم ماتوهّن من لبناته بسـوء الاسـتعمال، والثاني: إزاحة ما أُقيم في طريق مسيرته البناءة للحياة البشرية الصحيحة الكريمـة من عوائق، أي إعادة الدين إلى رونقه الأصلي وحالته النفسـية فكـراً وعملاً كما كان جديداً في أوله.

ثالثاً : ما هو علم الكلام الجديد

المـراد بعلـم الـكلام الجديـد: هـو تجديـد علم الـكلام وتطويره وتكييفه لطـور جديد من أطـوار التاريـخ، بحيـث يسـتجيب لمتطلبات الحياة المتغيّـرة، ويجيب عن الاسـئلة الجديدة والإشـكالات المعاصـرة التـي تقتحـم عالمنا الإسلاميّ، ونحن نرى الذين يتبنّون الأيدلوجيات يكرسون الجهود، ويرصدون الأموال، وينفقون الأوقـات، من أجل تطوير منهجيات وأسـاليب وصيغ لطرح أفكارهم ومذاهبهم حتى تكتسـب قوة القدرة على النفاذ الى القلوب، والاسـتحواذ علـى العقـول، ويسـتعينون بالعلوم الإنسـانية المختلفة لترويج سـلعهم وأفكارهم وإيحاءاتهم، وقـد نجحوا في تحقيق أهدافهم نجاحاً مكّنهم من إحـداث غزو ثقافيّ شـديد التأثيـر على العقول والنفوس[١١]

إن علـم الكلام المعاصـر يتعامل مع غربة الواقع وأزماته، محاولاً وضع موقف من التراث بوصفـه ماضيًا، على أسـاس عامِلَـي الزمان والمـكان، والكشـف عـن رهانـات الحاضر، من أجل تأسـيس جدلية الأصالـة والمعاصرة، واسـتدعاء نظام التراث ضمن نظـام الاجتهاد الكلامي المعاصـر، تأكيدًا لمقولـة الصيرورة والتحـوّل، ورفـض السّـكونية اللاتاريخيـة والاسـتئناف المستنسـخ الكامل أو شبه الكامل للأفكار التاريخية، والاجتهاد الكلامي المعاصر يحـاول التمييـز بيـن المقدّس وغيـر المقدّس، الإلهـي والبشـري، الدِّيـن والمعرفة البشـريّة الدّينيّة، أو بين الكتاب وتفسـير الكتاب، وينفتح علـى المنجـزات الجديـدة للعلـوم، وبالأخص العلوم الإنسانية: الهرمنيوطيقا، وعلم الاجتماع، والانثروبولوجيا، وفلسفة العلوم وغيرها[١٢]

وقد اختلف العلماء المعاصرون في تعريف علـم الكلام الجديـد وعلاقته بالـكلام التقليدي، فالكثيـر منهـم يرى أن علـم الـكلام الجديد لا يشـارك الـكلام القديـم التقليـدي إلا فـي اللفظ والعنـوان، فالكلام الجديد علـم حديث الظهور مسـتقل تماماً، ولا علاقة لـه بعلم الكلام القديم الدارج في الثقافة الاسلامية القديمة، بينما يرى البعـض الاخر الـكلام الجديد هو ذاتـه الكلام

التقليـديّ من حيث أضلاعه وأبعاده ولا يختلف عنه إلّا في اشـتماله على مسـائل جديدة لم تكن سابقاً، اذ هو ليس إلا كلام قديم متجدد في جانب من جوانبه، وهذا هو موضوع بحثنا.

يقول الشـيخ جعفر السبحاني: لقد شاع على ألسن بعض الجامعيين الجُدد عنوانٌ (علم الكلام الجديـد) و هـم يلهجون به بفم ملـؤه الإعجاب والاعتبـار، ويبدو لأوّل وهلـة أنّ هناك عِلمَين مختلفين أحدهما (الكلام القديم) والآخر (الكلام الجديد) ولكلّ منهما تعريف وموضوع ومسائل وغايـة، ولكـن الحقيقة غير ذلـك، إذ ليس ثمّة علمان مختلفان، من حيـث الموضوع والغاية، بـل هو علم واحـد يتكامل عَبْر الزمان حسـب تكامل الحضارة وتفتّح العقول، وليس ذلك أمراً شاذاً في علم الكلام، بل هو جار في سائر العلوم أيضـاً، فعلم النحو مثلاً لـم يكن يوم ظهوره إلاّ عدّة مسـائل ألقاهـا الإمام علي(عليه السـلام) على تلميذه أبي الأسـود الدؤلي وأمره بأن ينحو نحوهـا، ثـمّ أُضيف إليه في كلّ عصر مسـائل حتّـى تكامل وصـار علماً متكامـل الأطراف، وكذلك شأن علم الكلام، فلم يكن يوم ظهوره إلاّ عدّة مسـائل محدودة كالتوحيد والعدل والقضاء والقـدر ومـا يشـبهها، ولكنّـه أخـذ بالتكامـل والتطوّر بسـبب الاحتـكاكات الثقافية وفي ظلّ سائر العوامل المؤثرة في تكامله[١٣]

لـذا يـراد بعلـم الـكلام الجديد هـو إلحاق المسائل الجديدة واستيعابها في إطار المنظومة المعروفة لعلم الكلام التقليدي، فمتى ما انضمّت مسـائل أخـرى لعلم الكلام تجدّد هـذا العلم، لذا فإنّ موضـوع علم الـكلام الجديد يـدور حول محور أكثر اتسـاعاً وشـمولية، فهو يبحث عن الأمـور العقائديـة والأمـور الأخلاقيـة، وعن بعـض الأمـور الفرعية المختلفـة في مجالات شـتى، وهو ما يجمعه كلمـة « القضايا الفكرية »، وبذلـك صـار موضوعه الذي تـدور حوله مسائله القضايا الفكرية في الإسلام.

وعرَّفـه إبراهيم بـدوي : هو علم يبحث في تبيين وإثبات القضايا الفكرية الإسلاميّة والدفاع عنها [١٤]

يقـول الدكتور أحمـد قراملكـي: إنّ المراد بعلـم (الكلام الجديد) هو نظام كلاميّ جديد، أو هندسـة معرفية جديدة لعلم الكلام، فتقرر بذلك أنَّ الـكلام الجديـد هو في هويتـه علم الكلام أو ليس ذلك (لمجرد الاشـتراك اللفظي) ونعتبره جديداً في كل أبعاده وجوانبه[١٥].

المطلب الثاني : تاريخ نشأة علم الكلام الجديد

لم يمـض على هذا المصطلـح زمن طويل في سـاحة الفكر والثقافة، ومن المقطوع به أنَّ إرهاصاتـه الأولـى ظهرت مع نهايـات القرن التاسـع عشـر وبدايات القرن العشـرين، حيث بـرزت معطيـات علميـة جديـدة كما أسـلفنا، تبـرز العديد مـن المسـائل الجديـدة والأفكار والتسـاؤلات التـي لم تكن مطروحـة من قبل، ومع تنوع العلوم وتطورها، خصوصًا تلك التي لها ارتباط بمسـائل الدين، بـرزت الحاجة الى إعـادة النظر في عدد من المسـائل المطروحة، وتجلّـت ضرورة الدفاع عن العقيدة الاسـلامية مـن جديد ضمـن الأطر الحديثـة وعلى ضوء العلوم اللغوية والنفسـية والاجتماعية والفلسفية الحديثة[١٦].

وبعـد أن أصبحـت الفلسـفة تتمتّـع بنضج منطقـيّ دخلت نطـاق عمل المتكلميـن، ولكن في نفس الوقت جاءت بشـبهات واستفسـارات

في مقابل القضايا الدينية، لهذا السبب خاض المتكلمون الأوائل حرباً فكرية ضروساً مع الفلسفة، سواء استفادوا من مواضيع الفلسفة وأفكارها أو تبرأوا من كلّ ما هو فلسفي ومنطقي.

ويستعمل بعض المسلمين مصطلح الكلام للبحث عن المسائل المطروحة، مع إضافة قيد التجديد للتمييز بين هذه الأبحاث وبين الابحاث المطروحة قديما في التراث الاسلامي، ويبدو إن أول من استخدم هذا المصطلح المركب(علم الكلام) من قبل العالم الهندي (شبلي النعماني)، وقد استخدمه في المجلد الثاني من كتابه تاريخ علم الكلام، وتحت هذا العنوان يدرس مجموعة من التحديات التي كانت تواجه الدين والفكر الديني في عصره، ويعد النعماني من أوائل الداعين إلى تجديد علم الكلام بغية الرّد على الشبهات الحديثة، والدفاع عن الشريعة، فقد ذكر شبلي النعماني في مطلع كتابه (علم الكلام الجديد): إنّ علم الكلام القديم يُعنَى ببحث العقائد الإسلامية؛ً لأنَّ شبهات الخصوم كانت ترتكز على العقائد فقط، بينما يجري التأكيد هذا اليوم على الأبعاد الأخلاقيّة والتّاريخية والاجتماعية في الدِّين، وتتمحور الشُّبهات حول المسائل الأخلاقيّة والقانونيّة من الدِّين، وليس حول العقائد، فإنَّ الباحثين الأوربيين يعتبرون الدّليل الأقوى على بطلان الدين هي مسائل تعدُّد الزوجات، والطلاق، والأسرى، والجهاد.

وبناءً على ذلك سيدور البحث في علم الكلام الجديد في مسائل من هذا القبيل، حيث تعتبر هذه المسائل من اختصاص علم الكلام الجديد".[١٧]. ولذا أدرجَ النعماني في هذا الكتاب مسائل جديدة مثل: حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والإرث، والحقوق العامة للشعب، بجوار مباحث وجود الباري، والنبوة، والمعاد، والتأويل، وغير المحسوسات، كالملائكة والوحي وغيرها، والعلاقة بين الدين والدنيا.

وقد أوضح العالم الهندي المسلم وحيد الدين خان في مقدمة كتابه (الإسلام يتحدى) عام ١٩٤٦م، المبررات التي دعته لتأليف كتابه هذا، فشدّد على ضرورة التحُّرر من منهج علم الكلام القديم؛ً لأنّ (طريقة الكلام وأسلوبه قد تغيَّرا بتغيُّر الزمن، ولذلك علينا أن نأتي بعلم كلام جديد لمواجهة تحدي العصر الحديث)[١٨].

وقد استطاع وحيد الدين خان ْوصل ما بدأه المفكر المسلم محمد إقبال من قبل في "تجديد التفكير الديني في الإسلام"، فكان كتابه "الإسلام يتحدّى" إنجازاً رائداً في تشييد الكلام الجديد، إلاّ أنَّه ظل مهملاً في المشرق الإسلامي، فلم يهتم به الباحثون، مع أنَّه تُرجم إلى العربية ونشر قبل ثلاثين عاماً[١٩].

وفي إيران تبلور اتجاه جديد في التفكير الكلامي تجلى بوضوح في آثار العلامة (محمد حسين الطباطبائي)، وتلميذه الشهيد الشيخ (مرتضى مطهري)، ويعد الشهيد مطهري- هو أوّل مَن تطرّق في إيران إلى ماهية علم الكلام الجديد، فقد كان لهم دور مهمّ في ردّ الشُّبهات التي كانت ترد على الفكر الدينيّ، وفي معالجة الإشكاليات التي كانت تطرح على هذا الفكر، وقد ساهمَ بشكل فعّال في تأسيس مرحلة فكريّة مختلفة كثيراً عن سابقتها، ويعتقد أننا بحاجة الى تأسيس كلام جديد باعتبار أنّ العصر الحالي قد أدّى الى وجود شبهات لم تكن موجودة قديماً

ولأنّ هناك العديد من الاستدلالات الجديدة التي يمكن استخدامها في العقائد الدّينيّة والتي هي من نتائج تطور العلوم[٢٠].

أي ينبغي على المتكلمين الجدد الالتفات الى هذه المسائل وذلك في سبيل دفع عجلة التطور الكلامي بشكل حثيث، وبما يوفّر الكثير من الأسلحة المعرفية الحديثة والمتعددة، من أجل بناء العديد من التحصينات المعرفية عن الدين، ومن أجل إعطائه قدرة أكبر للقيام بكل وظائفه ومهماته [٢١].

أما(حسن حنفي) يقول: في الحقيقة إنّ علم الكلام أقدم من شبلي النعماني والمئة سنة الأخيرة، لماذا ؟ لأنه لا يوجد شيء اسمه علم كلام معياري نسقي، نقيس عليه الاجتهادات الأخرى في علم الكلام.

والذي يستعرض علم الكلام منذ نشأته حتى الأن يجد أنّ علم الكلام في استمرار، فقد كان علم كلام جديد ضد نزعة سائدة كان يجد نفسه بنفسه، إنما عيبنا نحن تصوّرنا إنّ علم الكلام أُغلق وأصبحت له مقاييس، مقاييس العقائد الأشعرية، فأي خروج على هذا المعيار، على هذا النسق، على هذه القاعدة يعد خروجاً على أصول العقيدة، لذلك سمِّي علم قواعد العقائد في القرون المتأخرة، فأي إنسان يخرج على ما قاله الأشاعرة في الذات، والصفات، والأفعال، وفي العقليات، وفي السمعيات، كأنه يقدم شيئاً جديداً، ومع أن تنوع الآراء هي طبيعة علم الكلام[٢٢].

وقد انبرى جيل من العلماء في تلك الفترة لمواجهة هذا الواقع الفكري المرفوض في الوسط الديني، وكان من أبرز هؤلاء السيد (جمال الدين الافغاني) في ردّه على الدهريين، وجاء بعده جيل آخر تمثَّل بالشيخ (محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهم)، فسجّلوا أبحاثًا مهمّة على هذا الصعيد، الى أن وصل الأمر الى العلامة الطباطبائي وتلميذه مرتضى مطهري، والدكتور علي شريعتي، وسيد قطب، والسيد محمد باقر الصدر، ومالك بن نبي وغيرهم، فأغنوا علم الكلام بالكثير من الدراسات والأبحاث القيمة مع عشرات من العلماء الآخرين في شتى أنحاء العالم الاسلامي[٢٣]

إذن علم الكلام الجديد هو تعبير عما تريده الحركة الإصلاحية في كل العالم الإسلامي، وبالتالي هو ربط جديد بين الواقع السياسي، والواقع الاجتماعي، ومصالح الناس، وبدلاً من أن ندافع عن هذه الأشياء باسم الليبرالية مرة دفاعاً عن الحرية، وباسم القومية مرة دفاعاً عن توحيد الأمَّة، وباسم الماركسية مرة دفاعاً عن العدالة الاجتماعية، فلماذا لا ندافع باسم الإسلام، حتى يساعد المسلمين على أن يبرز الاسلام كايديولوجية سياسية تقف في مواجهة الايديولوجيات المطروحة على الساحة منذ القرن الماضي[٢٤].

المبحث الثاني : (أوجه التجدّد في علم الكلام والأسباب التي دعت الى تجديده)

المطلب الأول : أوجه التجدّد في علم الكلام

تعرَّضَ علم الكلام الى تحولات وتغيرات عديدة أدَّت الى تجديد كل ضلع من أضلاعه، حتى تولّد ما يسمّى بعلم الكلام الجديد.

والتجدّد في علم الكلام، هو تحوّل الجهد الكلامي إلى مؤسسة أو مأسسة علم الكلام، من خلال مؤسسات ولجان لتصحيح التراث

الكلامي وإخراجه من المكتبات القديمة وعالم المخطوطات، وتحقيق هذه الكتب وطباعتها طباعة عصرية، إضافة الى إقامة مؤتمرات وملتقيات ومنتديات تُعنى بالفكر الكلامي، وتأسيس مكتبات متخصصة توفر جميع المصادر والمراجع الكلامية القديمة والحديثة، فضلا عن الاهتمام بالإصدارات الكلامية المتخصصة من مجلات ونشرات ودوريات[٢٥].

وركّزَ معظم المفكّرين على التّحولات في المسائل وقرّروا أنّ الكلام الجديد عبارة عن المسائل الكلامية الجديدة وذهب غيرهم إلى أنّ مفهوم تجديد علم الكلام لا يقتصر على ضمّ مسائل جديدة فحسب، وإنّما يتسع ليشمل التجديد في المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللُّغة، والمباني، والهندسة المعرفية [٢٦]

لذا فالتّجدّد طرأ على تعريف علم الكلام وموضوعه ولغته ومسائله ومناهجه، أمّا غرضه وغايته فلم يشمله التغيير، أي بقى ثابتاً والدليل على ذلك إن هدف هذا العلم كان ولا يزال الدفاع عن الإسلام من الناحية الفكرية والعقائدية، وتبيين منهج الإسلام والدفاع عنه في مقابل الشبهات.

تجديد المسائل: يقصد بذلك توالد مسائل جديدة نتيجة للشبهات المستحدثة، وهذه المسائل لم تطرح في علم الكلام القديم، ونجدها اليوم تبرز وبقوة، ومنها بعض جوانب فلسفة الدّين، وبعض من مسائل النّبوَّة، والبعض من مسائل الإمامة كولاية الفقيه، ومسائل الحكم والاقتصاد والسياسة، وكل ما يتعلق بشؤون الأمة، حتى أعتبر البعض أن الهدف من علم الكلام الجديد ليس الدفاع عن العقيدة فقط بل عن الأمة أيضاً [٢٧] والتجدّد الذي يحدث في مسائل أي علم ينجم عن ذلك تجدد وتطور العلم نفسه، وتجدد المسائل الكلامية الجديدة على امتداد الحركة التكاملية التاريخية لعلم الكلام، أي المسائل المعرفية المستحدثة التي تبنى على مباني جديدة، تتطلب أساليب عصرية لا شك في أنّها تستلزم تحولاً وتجدداً في سائر أبعاد المعرفة التي تندرج ضمنها تلك المسائل .

وظهور مسائل جديدة ناجمة عن ظهور أسس وتوجهات جديدة في عالم الأفكار، وظهور هذه المسائل الكلامية الجديدة، يكشف عن وجود نتائج وأسس مستحدثة شكلت على أساسها شبهات جديدة، ولظهور هذه المسائل أوجد أساليب ومبان جديدة في علم الكلام، وخلق فهماً حديثاً بخصوص دور المتكلم ومهماته، وطرح هذه المسائل الجديدة سبيلاً إلى تنويع منهجي وإثراء أسلوبي في علم الكلام[٢٨]

فقد دخل علم الكلام الجديد بمجال لم يدخله علم الكلام القديم، وذلك من خلال بحثه بالمفاهيم العامّة التي تتعلّق بالإسلام كدين مشتمل على نظام متكامل يتعلّق بكلّ مجالات الحياة، لا مجرد عقيدة وذلك من خلال – الامور الحقوقية: التي تشمل حقوق الإنسان، والمرأة، والطفل، والأسير، والبيئة، والحيوان، والخ . والأمور القيمية : التي تتضمن قيمة الإنسان والأخلاق الفردية، والمصالح العامة، وصلاح المجتمعات . والأمور المعرفيّة: التي تمثّل دور العقل في المعرفة الدّينية، وإمكانيّة الاستدلال اليقينيّ على الكثير من الأمور التي أثبتها الدين . والأمور العلميّة: التي تتضمّن توافق الدّين مع الكثير من الحقائق العلمية التي ثبتت في الآونة الأخيرة . وأيضاً الأمور الاجتماعية: تشمل الأسرة والزواج والطلاق والمجتمع والخ

.. والأمور السياسية : تشمل السلام والأمن والجهاد والمقاومة والخ ..

حيث يرى علم الكلام الجديد، أنَّ الدفاع عن الدين لا يكون إلّا من خلال تقديم نظرة صحيحة ومتكاملة عن مجمل هذه الأمور التي تتماشى مع متطلبات العصر، ومع الانفتاح الثقافي والمعرفي الذي تعيشه البشرية اليوم [٢٩]

تجديد المبادئ: إنَّ علم الكلام هو علم مرن يقوم على مجموعة من المبادئ تشكل بمجموعها الأسس الفكرية للمنظومة الكلامية .

وعلم الكلام يستند الى مبادئ تصورية وتصديقية متنوعة في عرضه للقيم الإيمانيّة ودفاعه عن المعتقدات الدينية سواء وجدنا تصريحا بهذه المبادئ في المؤلفات الكلامية أو لا، لقد كان المتكلّمون واعين في الغالب للأسس والمبادئ التي ترتكز اليها أفكارهم الكلامية لذلك خصّصوا بحوثهم الأولى لطرح أهمّ هذه المبادئ وبذلك أدرجوا في مؤلفاتهم مبادئهم المعرفية والفلسفية والمنطقية والطبيعية[٣٠]، وقد تعرَّض الإنسان إلى تحوّلات جذريّة في تفكيره وحياته عبر التاريخ وظهرت أسس ومبادئ جديدة وظهرت العلوم الحديثة، كما تغيرت تصوّرات الإنسان عن نفسه وعن الطبيعة والعالم، وظهرت صور جديدة للإنسانية والحرية والحقوق والواجبات والخ ...

التجديد في الموضوع : اختلفَ الباحثون القائلون بالتجديد بالنسبة للموضوع، فريق منهم يرى التجدد في الكلام بمعنى التجدد في الموضوع، ويبنون تغيّر الموضوع بالقول، أي إنّ أهم ما يلحظ في المسيرة الكلامية هو التبدل المحوري، إذ يوجد اختلاف جذري بين المركز المحوري الذي كانت تدور حوله الأبحاث الكلامية سابقاً، وبين المركز المحوري الذي تدور حوله حالياً، وهذا ما يبرّر الفصل بين كلام جديد وكلام قديم [٣١].

أمّا البعض الآخر فإنّهم يرون التوسّع في موضوع علم الكلام ليشمل الكثير من القضايا التي لم تكن تُبحَث سابقاً، ولا تُعطَى أدنى اهتمام في نطاق هذا العلم، وذلك كالأمور القيمية والحقوقية والإنسانية مثلاً.

قالوا: صحيح إنّ موضوع علم الكلام هو العقائد الدينية، لكننا لا نرى المتكلمين التقليدين يهتمون بتبيين وإثبات كلّ ما ورد في النصوص الدينية، بل يَقصرون اهتمامهم على إبراز بعض المسائل، كتلك التي ترتبط بالواقع، وأما تلك التي ترتبط بالقيم والأخلاق التي نجد نصوصاً دينية كثيرة تتحدث عنها، فلا يعتبر المتكلمون أنفسهم معنيين بها، بينما الحال مختلف في علم الكلام في عالم الغرب، إذ إنَّ ما يستدرج اليوم في الشفافة الغربية تحت عنوان الكلام أو الإلهيات مشتمل على كافة القضايا الموجودة في النصوص الدينية سواء منها الناظرة إلى الواقع أو الناظرة إلى الأخلاق .

التجدُّد في الهدف: إنَّ نظرية التجدُّد في أهداف علم الكلام، فإنها ترى أهم أركان هذا العلم عرضة للتجديد، والذي يرون أنّ التحديث فيما وراء مسائل العلم، يعني ظهور علم جديد في هويته؛ ذلك أنَّ الهدف يلعب دوراً رئيساً في تحديد وانسجام الأضلاع المعرفية لعلم الكلام، فهذا العلم مدين بهويته المعروفة لأهدافه وغاياته، لذا فإنَّ التجديد في الأهداف تجديداً في الهوية[٣٢] ويرى البعض الهدف الذي يسعى إليه علم الكلام الجديد يختلف عن الهدف الذي كان

يسعى اليه الكلام القديم، بينما كان الكلام القديم يقوم بوظيفتي الدفـاع والتحصيل، أي تحصيل المعارف والدفاع عن العقائد الدينيّة، فإنّ الكلام الجديـد قد أضاف الى هاتيـن الوظيفتين وظيفة أخرى ألا وهي وظيفة التبيين، أي تبيين الإيمان الدينـي وعليه يمكن جعل الهـدف ملاكاً للتجدد فـي علم الـكلام، وبما أنّ الهـدف كان عرضة للتغير، فيمكن تقسيم الكلام الى قديم وجديد [٣٣].

التجدد في المنهج : يعني التحرّر من المنهج الأحادي والانفتاح على مناهج متعدّدة في البحث الكلامي، ومنها: المناهج الهرمنيوطيقية (علم تفسـير النصوص) و السـيميائية (علم الدلالة)، والتجريبيـة والبرهانيـة فضلًا عن ظواهر النصوص والحقائق التاريخية [٣٤]، فعلم الكلام القديـم يعتمد في بداياته المنهـج الجدلي، ولكنه تطوَّر شيئاً فشـيئاً حتى بات يعتمد على المنهج التكاملي بين أكثر من منهج، ونجد البعض من المتكلّمين يسـتخدمون الأسـلوب الجدلي تارة، والعقلـي أخـرى، والنقلي ثالثـة، وهذا الدمج بيـن المناهج موجود مـع بدايات علـم الكلام، وكان المتكلمـون المعتزلـة والشـيعة الأوائـل يعتمـدون في بعض اسـتدلالاتهم علـى العدل الإلهـي، بالعقل العملي وحكمه بحسـن للعدل، وقبح للظلـم، حتى عُرِفـوا بالعقليين. فالتطور التدريجـي في المنهج ملحوظ كخطوة أساسـية ومرحلة في ولادة علم الكلام الجديد.

التجـدد فـي اللُّغـة : أي التّحـوّل مـن لغة المتكلميـن القديمـة الـى لغة حديثة أكثر يسـر وسهولة، فقد كانت أدلة ولغة المتكلمين القديمة تتناسـب مع لغات أقوامهم أنـذاك، أمّا المتكلِّم المعاصـر فيحتـاج إلى لغة حديثة تتناسـب مع أذهان ولغات مخاطبيه اليوم .

أي لغـة معرفية جديـدة تمتلك أنماطاً لغوية مختلفة سـوف يؤدي الـى نوع محـاكاة لغوية كلامية تتناسـب مع تلك الأنماط اللغوية، وهو ما يـؤدي الى إيجـاد أكثر من تغييـر في اللغة الكلامية والتغيير الكلامي [٣٥].

التجديـد فـي الهندسـة المعرفيّـة: شـهدت الهندسـة المعرفية تحديثاً أيضـاً، لأنّ أبعاد كلّ علم تشكِّل نسـيجاً متكاملاً فيما بينها، ويوحدها التأثيـر المتبـادل، أي إنّ أي تحـول في أحدها سـيتبعه تحول في سـائر الأبعـاد، وهذا يعني تخلخـل المنظومـة السـابقة للعلـم، وحـدوث منظومـة بديلـة، يأخـذ فيها كل بُعـد من أبعاد العلـم موقعـه الملائم، ويُعاد نظم المسـائل في إطار يتسـق مع التحولات الجديدة في المسائل والمباني والموضوع والمناهج واللغة، ومعنى ذلك تجديد الهندسة المعرفية لعلم الكلام [٣٦].

المطلب الثاني : الاسباب التي دعت الى تجديد علم الكلام

يشـهد واقعنا المعاصر بالأحـداث والوقائع والمستجدات التي تطرح نفسها على المجتمعات المسلمة والتي لم يعشها القدماء، وهذا ما يفرض علينـا ضرورة تجديد العلـوم الدينية بما يوافق طبيعة تطور المجتمع الذي يعيشون فيه .

التّجديـد في العلوم الدينيّـة بمعنى تخليص الشَّـيء مـن الشـوائب التـي تعرّضـت له في صيرورتـه التاريخيـة، بحيـث لا يتبقـى فيه الا مـا يجعلـه متوافقاً مع ما يجـد من الأحداث والأفـكار، فضلاً عن الاستمسـاك بما فيه من مقوّمـات جوهرية لا يصـح التفريط فيها، لأن التفريط يخرجه عن طبيعته.

وبمـا إنّ الحياة البشـرية فـي ديمومة، فقد

تكـون خاضعـة للتطـور والتجـدّد، فمتطلبات العصـر تتبدل عند الإنسـان، والزمـن يتجدّد، والإنسـان مُكلّـف ومسـؤول في عملـه، وهذا التكليـف والمسـؤولية من الأشـياء التي أطلق عليها القران اسم (الأمانة)، وهو الكائن الوحيد الـذي يقـدر على حمل هـذه الأمانـة، فالإبداع يعني التجـدّد وابتكار خطط جديـدة في الحياة، كما يعني الإتيان بشيء جديد غير موجود فعلاً، فهذه قدرة الله أودعها للإنسان، وبالتالي يحدث نظراً جديداً تتطور من خلاله مناهج الاسـتنباط وأدواتـه اسـتناداً الـى إلحاق هذه المسـتجدات بأشـباهها وما جاء فيها من حكم شرعي، أو بما يراعي مقاصد الشـريعة الاسـلامية وما حققته الشـريعة من الأمـور التي ظهـرت فيها تغيير بالزمان والمكان والاحـوال وغيرها مما يطرأ على الحياة من تطور.

والتجـدّد لا يقتصـر علـى علـم معيّن، بل يشـمل جميع العلوم، شـرعية وغير شـرعية، وتجديـد (علم الكلام) له أهميـة بالغة في إثبات المسائل العقيدية المعاصرة ورد الشبهات عنها، ولا نقتصر على ما دُرسَ من قضايا علم العقائد أو الكلام الأساسي بناء على ما خطّه العلماء في العصور السّـابقة، لأن مدوّنـات هذا العلم منها ما خلق في أتون الصراع السياسـي بين الفرق الاسـلامية وهو مـا كان له تأثيـر واضح على الطبيعة الإقصائية لهذا العلم .

وقد ظهـرت الشـبهات في مطلـع العصر الحديـث، مما دعا الى تجديـد الحاجة الى الرد عليها، وبسـبب انتشار ظاهرة الإلحاد وشبهات الملحديـن تتجـدّد باسـم العلـم أحيانا، وباسـم تردّي الخطاب الديني، وباسـم تردّي الأوضاع الاجتماعية أحيانًـا اخرى، لذا وجب التجدّد في علم الكلام بسـبب ما فرضه الواقع الراهن بكل اشكالاته وشـبهاته وزيغه، تجديد بنية العلم من حيث اللغة وطريقة الحوار والمسائل .

علـى الرّغـم ممّا قـام به علمـاء الكلام في مـا مضى من جهود مشـكورة فـي مجال بيان وإثبـات الفكـر الدينـي على وجـه العموم، فلا يمكـن القول: إن ما جاؤوا بـه وبالقياس إلى ما وصل اليه الفكر البشـري اليوم مـن تقدم على صعيد العلوم والمناهج واللغة والفلسفة، فمجال اهتمـام علماء الكلام السـابقين لـم يكن يتعدى العقائـد والأصول، ومسـتوى تركيزهم لم يكن سـوى مجـادلات لإثبات الـرأي ونقض الرأي المضـاد دون أن يتعـدّى ذلك إلـى البحث عن الحقيقة المجرّدة القائمة على أسس من العقلانية العلميـة والفلسـفية[٣٧]، وإن علم الـكلام القديم لم تكـن له القدرة المبدعة التـي كان يتحلى بها فـي القـرون الأولـى، فهو عاجز عـن تغطية الحاجات الفكرية والنفسـية للمسـلم المعاصر، وأبرز الأمور التي عجز عنها الكلام القديم[٣٨]:

هيمنة المنطق الأرسطي في الاستدلال على قضايا العقيدة

طغيـان النزعـة التجريديـة أو الفصام بين النظر والعمل

تفريع علم الكلام من محتواه الاجتماعي

تراجع دور العقل وشيوع التقليد

نسيان الإنسان في الكلام القديم

لذا قد دعت الحاجـة الى تجديد علم الكلام؛ نتيجة لتعرض هـذا العلم لكثير من أوجه النقد، ولشـدة الحوارات التـي دارت بين علماء الدين والمفكريـن والمصلحيـن مـن المسـلمين مـع

الاخرين الذين يخالفوهم بالمعتقد والتقليد، أو ممن خالفهم بالمذهب والرأي والتصور والخ، وأن يضع حداً لحالات الركود التي سيطرت على المدراس الكلامية في القرون الأخيرة.

وقد تعكس الحاجة ايضا الى تجديد علم الكلام الى وجود أزمة خطيرة عاشها وما زال يعيشها الفكر الاسلامي المعاصر، تتمثل في صدمة حضارية انتابت رواد النهضة العربية وتوارثتها الأجيال عندما اكتشفوا تأخرهم وتقدم الغرب عليهم، وجد الفكر الديني نفسه بعد عقود من الجمود والانغلاق غريبا في سياق إنساني يتقدم ويتطور بصفة غير متناهية، ولقد دفع احتكاك المسلمين بغيرهم من الثقافات، وانبلاج عصر المعلومات والاتصالات وما يطرحه من تحديات فكرية الى ظهور أصوات تدعو الى تجديد هذا العلم ليستجيب لتحديات العصر وحاجيات المسلمين الثقافية [٣٩].

وأن الدعوة التي جاءت بتجديد علم الكلام، وذلك بإدخال تغييرات جوهرية على مجمل أضلاعه المعرفية من موضوع، وغاية، ومنهج، ولغة، ومبادئ، ومسائل، على ضوء المعطيات الثقافية والفكرية والفلسفية والعملية للعصر الحديث[٤٠].

ومن الأسباب التي أدّت إلى التجديد، هي شمولية الشريعة للزمان والمكان والإنسان، فيقصد بشمولية الزمان يكشف الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم أن الدين الحق عنده هو الإسلام، فقد كان أنبياء الله ومن تبعهم مسلمين، وتبيّن ذلك فيما جاءت به الرسالات السماوية من أصول كلية ومقاصد موحّدة مع الإسلام بالرغم من اختلاف الحقب الزمنية التي جاءت بها، ويراد بشمولية المكان، إنّ الرسالة الاسلامية رسالة عالمية ليست خاصة ببقعة معينة من بقاع الارض، ولا مقصورة بشعب من الشعوب، بل هي شاملة لكلّ البشرية على اختلاف اجناسها وتنوع أعراضها، فقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[٤١]. أما شمولية الانسان فتعني استيعاب الشريعة لكل شأن من شؤون حياة الإنسان الخاصة والعامة في دنياه وآخرته، إضافة الى تقادم الزمان وبُعد الناس عن مصدر الوحي يؤدي بدوره الى إندثار كثير من معالم الدين، وكثرة الفساد، واتساع رقعة الانحراف، وتفشي البدع والضلالات، عندها تصبح الحاجة ملحة الى بعثة المجددين، وبروز قيادات إسلامية متميزة تعمل على إظهار الإسلام وتقديمه كما أنزله الله، وتبعد عنه كل العناصر والجزئيات الدخيلة عليه والتي تحول دون تفاعل النفوس مع الوحي الإلهي وتحيي ما اندرس من معالمه وأحكامه [٤٢].

فمجال التجديد في علم الكلام يشمل: تحديات جديدة لم تكن موجودة في القرون الإسلامية الأولى، مثل نهوض الآخر، وتراجع عالم الإسلام، ومثل صعود الفلسفات المادية و الوضعية، وثقافة الحداثة وتفكيك وعدمية ما بعد الحداثة، وايضا مثل التخلف الذاتي الموروث عن حقب التراجع الحضاري في مسيرة الأمة الإسلامية، وكذلك التجديد في المناهج استفادة مما تحقق من التراكم المعرفي في هذا الميدان. و أيضاً في لغة الخطاب، و أساليب التأليف، ومنطق الترتيب للأبواب و المسائل والمقالات، يقول محمد عمارة: لا بُدّ من اتّصاف علم الكلام الجديد بالبلاغة التي تراعي مقتضى حال العقل المعاصر، إنْ في الموضوعات أو أساليب التعبير و الخطاب أو

هندسة البناء المفاهيمي و المعرفي لأدبيات هذا الطور الجديد لعلم الكلام[٤٣] .

وقد شهد التاريخ من قام بمحاولة تشويه الدين و هدمه وتحريف نصوصه ومعانيه، إلا أن أشرس تلك المحاولات هي تلك التي شهدها القرن الميلادي العشرون، ولا تزال قائمة حتى الآن، حيث تواطأت قوى الكفر على اختلاف عقائدها وأهوائها ومصالحها على حرب الاسلام والقضاء على أهله وإلغاء أحكامه وتعاليمه، وحين أدركوا استحالة إلغاء الإسلام عمدوا الى حرب من نوع أخر تمثل في إشاعة المفاهيم والقيم الغربية ليحلّوها محلّ الإسلام، وجلّ هؤلاء ممّن بهرتهم الحضارة الغربية المادية، وسقطوا صرعى أمام الغزو الثقافي الأوربي، واهتزت ثقتهم بدينهم وبصلاحيته للحياة، وظنوا أن تخلف المسلمين وضعفهم ناجم عن تمسك المسلمين بدينهم، فأرادوا نقل النموذج الأوربي الى عالمنا متناسين الفارق الجوهري بين الدين الاسلامي ومذاهب الاوربيين التي حرفتها وعبثت بها أيدي البشر، وقد رفعوا شعار عصرنة الإسلام وتحديثه، وتجديد الفكر الدينيّ عن طريق قراءة جديدة لنصوص الشريعة وفهم جديد لها يتلاءم مع معطيات الحضارة الغربية ويستجيب لضغوطات الواقع الذي فرضته قوى الكفر[٤٤].

ورغم كثرة الكتابات والطعن في العقائد الإسلامية، والتشكيك بوجود الخالق، ونبوّة محمّد (صلّى الله عليه وآله)، فضلًا عن ذلك التشكيك بالقرآن الكريم ووصفه بالتناقض، فقد اجتاحت كتاباتهم هؤلاء الدعاة وطروحاتهم السابقة، وتركت آثارًا بالغة السوء والخطوة على مجمل شباب الصحوة الاسلامية، لذا صار من الواجب على طلبة العلم أن يعملوا على وقف هذا الانحدار المستمر، و كان موقف المتكلّمين المسلمين هو الدّفاع عن العقيدة الإسلامية والحفاظ عليها من التحريف والتأويل[٤٥]

وقد بذل المتكلّمون جهود كبيرة للدفاع عن عقيدتهم وكانت هذه الجهود موضع تقدير المسلمين وثنائهم، حتى وجدنا من الفلاسفة المسلمين من يشيد بهذه الجهود إشادة كبرى، ويصفها بأنّها لا تقل في أهميتها وفي حاجة المسلمين إليها عن الجهود التي يقوم بها الجنود في ميادين الجهاد الحربي، لأن غاية الفريقين واحدة، وهي صيانة الدين والدفاع عنه [٤٦].

أهم النتائج

توصلت من خلال هذا البحث الى بيان أشهر مفاهيم علم الكلام عند العلماء، وابرز هذه المفاهيم ما عرّفه الملا صدرا حيث يقول : هو علم يبحث عن ذات الله وصفاته وأفعاله وعن أحوال المعاد بأدلة ممزوجة من العقل والشرع، بمقدّمات مقبولة عند الجمهور، أو مسلمة عند الخصم.

أيضًا تطرقتُ الى بيان مفهوم التجديد من منظور لغوي واصطلاحي حيث قلنا إنّ التجديد هو إحياء ما دُرس من العمل من الكتاب والسنة والامر بمقتضاهما والمجدد إنما هو بغلبة الظن بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه.

بيّن هذا البحث مفهوم علم الكلام الجديد وكيف اختلف العلماء المعاصرون في تعريفه وعلاقته بالكلام التقليدي، فالكثير منهم يرى أنَّ علم الكلام الجديد لا يشارك الكلام القديم التقليدي إلا في اللفظ والعنوان، والكلام الجديد

هو علم حديث الظهور مستقل تماماً ولا علاقة لـه اصلاً بعلم الـكلام القديم الـدارج في الثقافة الاسـلامية القديمـة، بينما يـرى البعض الآخر الـكلام الجديد هو ذاته الكلام التقليديّ من حيث أضلاعه وأبعاده ولا يختلف عنه إلا في اشتماله على مسائل جديدة لم تكن سابقاً، اذ هو ليس إلا كلام قديم متجدد في جانب من جوانبه .

يراد بعلم الكلام الجديد هو الحاق المسـائل الجديـدة واسـتيعابها فـي اطـار المنظومـة المعروفة لعلم الكلام التقليدي، فمتى ما انضمت مسائل اخرى لعلم الكلام تجدد هذا العلم، لذا فإن موضوع علم الـكلام الجديد يبحث عن الأمور العقائديـة والأمـور الأخلاقيـة، وعـن بعض الأمور الفرعية المختلفة في مجالات شتى.

بيّـن هذا البحـث تاريخ نشـأة علـم الكلام الجديـد من خـلال بيـان أوّل مَن اسـتخدم هذا المصطلح (الكلام الجديد) من قِبل العالم الهندي شـبلي النعمانـي، ومن ثـم التطـرُّق الى وحيد الدين خان والذي يعد من ابرز من كَتَبَ في هذا العلم في مطلع كتابه (الاسـلام يتحدى) فشـدد على ضـرورة التحرر من العلم التقليدي ونأتي بالجديد لمواجهة تحدي العصر الحديث.

أوّل مـن تطـرق في إيران إلـى ماهية علم الـكلام الجديد هو الشـهيد مرتضـى مطهري، ويعد من الذين كان لهم دور مهم في ردّ الشبهات التـي كانت ترد على الفكر الديني، وفي معالجة الإشـكاليات التي كانت تطرح على هذا الفكر، وقد ساهم بشكل فاعل في تأسيس مرحلة فكرية مختلفة كثيراً عن سابقتها.

ظهـور جيـل من العلمـاء في تلـك الفترة لمواجهـة هـذا الواقـع الفكـري المرفوض في الوسـط الدينـي، وكان من أبرز هؤلاء السـيد (جمـال الديـن الافغاني، محمد عبده، والشـيخ محمد رشيد رضا، العلامة الطباطبائي وتلميذه مرتضـى مطهري، والدكتور علي شـريعتي، وسيد قطب، والسيد محمد باقر الصدر، ومالك بـن نبي وغيرهـم، فأغنوا علم الـكلام بالكثير مـن الدراسـات والأبحاث القيمة مع عشـرات مـن العلمـاء الاخرين في شـتى أنحـاء العالم الاسلامي.

تعـرّض علـم الـكلام الـى تحولات وتغيـرات عديـدة أدت الـى تجديـد كل ضلـع مـن أضلاعه، حتى تولّد ما يسـمّى بعلم الكلام الجديد، فيتضمن التجديد في المسائل، والهدف، والمناهـج، والموضـوع، واللغـة، والمباني، والهندسة المعرفية.

لتجديد (علم الـكلام) أهمية بالغة في إثبات المسـائل العقيديـة المعاصـرة ورد الشـبهات عنها، لذلك دعت الحاجة الى تجديد علم الكلام، والتجـدّد لا يقتصـر على علم معين بل يشـمل جميع العلوم الشرعية والغير شرعية .

أيضًا من الأسـباب التي دعت الى التجديد ظهور الشـبهات فـي مطلع العصـر الحديث، وانتشـار ظاهرة الالحاد وشبهات الملحدين؛ لذا وجب التجـدد في علم الكلام بسـبب ما فرضه الواقع الراهن بكل اشـكالاته وشـبهاته وزيغه، تجديد بنية العلم من حيث اللُّغة وطريقة الحوار والمسائل .

أيضًا دعت الحاجة الـى تجديد علم الكلام، نتيجة لتعرض هـذا العلم لكثير من أوجه النقد، ولشـدة الحوارات التـي دارت بين علماء الدين والمفكريـن والمصلحيـن مـن المسـلمين مـع

الآخرين الذين يخالفوهم بالمعتقد والتقليد، أو ممّن خالفهم بالمذهب والرأي والتصور والخ، وأن يضع حداً لحالات الرّكود التي سيطرت على المدراس الكلاميّة في القرون الأخيرة.

أيضًا دعت الحاجة الى تجديد علم الكلام، بسبب وجود أزمة يعيشها الفكر الإسلامي المعاصر عندما اكتشفوا تأخرهم وتقدم الغرب عليهم، والفكر الديني يشهده الجمود والانغلاق، ونتيجة لاحتكاك المسلمين بغيرهم من الثقافات، وانبلاج عصر المعلومات والاتصالات وما يطرحه من تحديات فكرية الى ظهور أصوات تدعو الى تجديد هذا العلم كي يستجيب لتحديات العصر وحاجيات المسلمين الثقافية.

نتيجة إلى تقادم الزمان وبُعد الناس عن مصدر الوحي، هذا بدوره أدّى الى إندثار كثير من معالم الدين، وكثرة الفساد، واتساع رقعة الانحراف، وتفشي البدع والضلالات، عندها اصبحت الحاجة ملحة الى بعثة المجددين، وبروز قيادات إسلامية متميزة تعمل على إظهار الإسلام وتقديمه كما أنزله الله .

نتيجة لمحاولة تشويه الدين وهدمه وتحريف نصوصه ومعانيه، ونتيجة لتواطئ قوى الكفر على اختلاف عقائدها وأهوائها ومصالحها على حرب الاسلام والقضاء على أهله وإلغاء أحكامه وتعاليمه، ونتيجة لكثرة الطعن بالعقائد الاسلامية والتشكيك بوجود الله تعالى ونبوّة محمّد (صلّى الله عليه وآله)، دعت الحاجة الى تجديد هذا العلم وتجديد الفكر الديني عن طريق قراءة جديدة لنصوص الشريعة وفهمها فهمًا جديدًا يتلاءم مع معطيات الحضارة الغربية ويستجيب لضغوطات الواقع الذي فرضته قوى الكفر.

الهوامش

(١) البحراني، ابن ميثم، قواعد المرام في علم الكلام، تحقيق (احمد الحسيني)، ط٢، مطبعة الصدر – قم -١٤٠٦ه : ١٩.

(٢) الايجي، عبد الرحمن، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب – بيروت : ١/ ٧.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق (د. علي عبد الواحد وافي)، ط٢، مكتبة الاسرة، دار نهضة مصر -٢٠٠٦م: ٢/ ٩٦٦.

(٤) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الايمان، تحقيق (مهدي الرجائي)، ط١، مطبعة سيد الشهداء – قم – ١٤٠٩ه: ١٧٦.

(٥) الغفار، عبد الرسول، الكليني والكافي، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي –قم – ١٤١٦ه : ٣١٦.

(٦) الجوهري، اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق (احمد عبد الغفور عطار)، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت -١٤٠٧ه-١٩٨٧م: ٢/ ٤٥٤، الحنبلي، رضي الدين محمد بن يوسف بن الحنبلي (ت ٩٧١ه)، سهم الالحاظ في وهم الالفاظ، تحقيق (د. حاتم صال الضامن)، عالم الكتب -١٤٠٧ه-١٩٨٧م: ١/ ٣٥.

(٧) السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، مطبعة اليابي الحلبي، مصر : ١٣٣.

(٨) المناوي، العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير : ٢/ ٣٥٧.

(٩)المودودي، ابو الاعلى، موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه، ط٢، دار الفكر الحديث – لبنان، ١٣٨٦ه- ١٩٦٧م: ١٣.

(١٠) الزرقا، مصطفى، «الإسلام وتطور المجتمعات»، (مجلة كلية الشريعة)، الجامعة الاردنية، عدد(١)، ١٩٧٢م :٥٣

(١١) ينظر : ابو المجد، أحمد كمال، حوار لا مواجهه من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، دار الشروق، ١٩٨٨م : ٢٤٤.

(١٢) حسين، د. رواء محمود، إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة – دراسة وصفية، ط ١، دار الزمان، سوريا، ٢٠١٠ م: ٢٤٣.

(١٣)السبحاني، العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحاني، رسائل ومقالات، ط١، مؤسسة الامام الصادق (ع)، ايران – قم، ١٤٢٦ه: ١٦٥/٥ .

(١٤) ابراهيم بدوي، علم الكلام الجديد نشأته وتطوره، ط٢، دار المحجة – البيضاء، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م:١٠٢.

(١٥) د. احمد قراملكي، علم الكلام الجديد، قضايا اسلامية معاصرة، العدد الرابع، ٢٠٠١م: ٤٤.

(١٦) بدوي، علم الكلام الجديد نشأته وتطوره : ٩٣.

(١٧) الهندي، شبلي النعماني الهندي، علم الكلام الجديد، ترجمة (جلال السعيد الحفناوي و محمد السباعي)، ط١، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ٢٠١٢: ١٨١.

(١٨) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى: مدخل علمي للإيمان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: د. عبدالصبور شاهين، ط٦، دار البحوث العلمية-الكويت، ١٩٨١ م:٤٢.

(١٩) عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، قضايا اسلامية معاصرة، العدد الرابع، ٢٠٠١م :٤٢.

(٢٠) ينظر : محمد شقير، دراسات في الفكر الديني، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م:٤٥.

(٢١) المصدر نفسه:٥٠

(٢٢) حسن حنفي، مقال (الاتجاهات الجديدة في علم الكلام)، قضايا إسلامية معاصرة، العدد الرابع عشر، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م:١٣.

(٢٣) حب الله، حيدر، علم الكلام المعاصر، المركز العالمي للعلوم الاسلامية، مهرجان الشيخ الطوسي- قم، ١٣٣١ :٢١٧.

(٢٤) د. حسن حنفي، الاتجاهات الجديدة في علم الكلام : ١٤.

(٢٥) حيدر حب الله، علم الكلام المعاصر:٢١٣ .

(٢٦) السبحاني، الشيخ جعفر، مدخل للمسائل الجديدة في علم الكلام، (مدخل مسائل جديد در علم الكلام)، مؤسسة الامام الصادق (ع)، قم- ١٣٧٥ش : ٨٦.

(٢٧) حسن حنفي، مجلة المنطلق، عدد- ١٢، بيروت : ٧٣.

(٢٨) احمد قراملكي، التجديد في علم الكلام :١٢٥.

(٢٩) ابراهيم بدوي، علم الكلام الجديد (نشأته وتطوره) : ٦٨-٦٩.

(٣٠) احمد قراملكي، التجديد في علم الكلام : ١٣٢.

(٣١) محمد شقير، دراسات في الفكر الديني: ١٦.

(٣٢) احمد قراملكي، التجديد في علم الكلام : ١٣٤.

(٣٣) محمد شقير، دراسات في الفكر الديني : ١٧.

(٣٤) عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد:٥٤.

(٣٥) محمد شقير، دراسات في الفكر الديني : ١٩.

(٣٦) عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد : ٥٥.

(٣٧) ابراهيم بدوي، علم الكلام الجديد (نشأته وتطوره) : ٩.

(٣٨) عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد وفلسفة الدين : ٢٢.

(٣٩) علي بن مبارك، الحاجة الى تجديد علم الكلام، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥م : ١.

(٤٠) ابراهيم بدوي، علم الكلام الجديد : ٩.

(٤١) الانبياء : ١٠٧.

(٤٢) ينظر : التجديد في الاسلام، إصدار المنتدى الاسلامي، ط١، لندن – ١٩٩٠م : ١٢-١٣.

(٤٣) محمد عمارة، الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة، إعداد (عبد الجبار الرفاعي)، ط١، دار الهادي: ١٢٦.

(٤٤) أسامة، د. عدنان محمد، التجديد في الفكر الاسلامي، ط١، ١٤٢٤ه: ٧

(٤٥) المصدر نفسه :٨

(٤٦) العامري، أبي حسن (ت ٣٨١ه)، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق (د. احمد عبد الحميد غراب)، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م : ١١٥-١١٦.

The science of speech and the need to renew it

M.m.Enas Nagy Hamad

Saif Abdul Kazem Nasser

Abstract

This study deals with the concept of (theology) and the need for renewal. Therefore, the two researchers in the studying depend on the theoretical side so the goal of study shades the light on the concept of the new science of theology and how the innovation in this science makes it respond to the changing requirements of life as well as answers the problems that have swept the contemporary world considering that is considered as belief principles , explaining aspects of renewal in theology, in addition to revealing the need that called for the renewal of this science.

The study reached the most important results, including:

1. The study attempts to explain the concept of (theology) to scholars, as well as the concept of innovation among linguists and idioms.
2. the researchers deal with an explanation of the history of entrance with new science of theology by explaining the first to use this term (the new speech) by the Indian scholar Shibli al-Nu›mani, and then touching upon Wahid al-Din Khan, who is considered one of the most prominent who wrote on this science, as well as a first statement The one who discussed in Iran the nature of the new science of theology is the martyr Mortada Mutahhari.
3. The two researchers presented many reasons that called for the renewal of this science, the most important of which was the appearance of suspicions at the beginning of the modern era, and because of the spread of the phenomenon of atheism and its likeness.

Keywords: (science of theology - new speech - the history of its origin - aspects of renewal - the need for renewal)